الفصل الثاني

جمع القرآن الكريم وكتابته وحفظه

أولاً: كيف نزل الوحي بالقرآن الكريم؟:

نزل الوحي بالقرآن الكريم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين ـ، من قبل ألف وأربعمائة سنة بلسان عربي مبين، وتم نقله عنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نقلاً متواتراً بلا أدنى شبهة، بنفس النص الذي أوحي إليه، والذي تم تدوينه كتابة عقب الوحي مباشرة بكل آية أو مجموعة آيات منه، ثم تم ترتيبه في سوره بتوقيف من الله ـ تعالى ـ بنفس الترتيب الموجود اليوم بين دفتي المصحف الشريف (من أول سورة «الفاتحة» إلى آخر سورة «الناس»)، والممثل ببلايين النسخ من المصاحف التي خطت، أو صورت، أو طبعت على مر العصور، والتي توارثها بلايين الحفاظ وسجلوها في الصدور جيلاً بعد جيل، من جيل الوحي المبارك حتى اليوم، وإلى أن يشاء الله ـ تعالى ـ، ومن ثم تم حفظه على مختلف صور الأشرطة والأسطوانات الممغنطة والمضغوطة، وعلى غير ذلك من مختلف صور الحفظ الحاسوبية المتعددة.

ثانياً: لماذا تعهد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بحفظ القرآن الكريم؟:

تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظ القرآن الكريم حفظاً مطلقاً فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

والسبب في هذا العهد الإلٰهي المطلق هو أن الإنسان لا يستطيع أن يحيا على هذه الأرض حياة سوية، ولا أن يحقق رسالته في هذه الحياة الدنيا بنجاح دون هداية ربانية خاصة في الأمور التي يعلم ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بعلمه المحيط

أن الإنسان عاجز عجزاً كاملاً عن الوصول فيها إلى أية تصورات صحيحة، وذلك من مثل قضايا: **العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات** التي تشكل ركائز الدين.

وهذه الهداية الإلٰهية علمها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ لأبينا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لحظة خلقه، ثم أوحاها إلى عدد كبير من أنبيائه ورسله الذين بعثهم إلى مختلف بقاع الأرض على فترات من الزمن كي يجدد بهم هذه الهداية الربانية التي أكملها وأتمها في وحيه الخاتم (القرآن الكريم)، ولذلك تعهد بحفظه تعهداً مطلقاً، فظل محفوظاً بحفظ الله في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً، وسيبقى كذلك إلى ما شاء الله ـ تعالى ـ لأن سلسلة النبوات والرسالات قد ختمت ببعثة النبي والرسول الخاتم سيدنا محمد بن عبد الله النبي العربي ﷺ فكان لا بد من حفظ رسالته حتى يتحقق العدل الإلٰهي الموصوف بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ومن الثابت أن حفظ كل رسالة من الرسالات السماوية السابقة كان قد وُكِّل لأتباعها فضيّعوها، ومن هنا كان لا بد من إنزال رسالة خاتمة يحفظها الله ـ تعالى ـ بحفظه، وفي هذا يقول ربنا ـ عز من قائل ـ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وهذه الآية الكريمة ـ وأمثالها في كتاب الله كثير ـ تؤكد على وحدة رسالة السماء. وعلى الأخوة بين الأنبياء وبين الناس جميعاً.

وانطلاقاً من وحدانية الله ﷻ تتأكد **حقيقة وحدة الدين**، فكما أن الله ـ تعالى ـ واحد، فهدايته للبشرية لا بد وأن تكون واحدة، وهذه الهداية الربانية الواحدة اسمها **الإسلام**، وهو اسم مشتق من الأصلين العربيين (السلام) و(التسليم) بمعنى الرضا بأوامر الله ـ تعالى ـ، والتسليم لحُكمه بمنتهى القبول

والسعادة، ولذلك كان الإسلام هو دعوة كل أنبياء الله ورسله، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٨، ١٩].

ويؤكّد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ هذا الحكم القاطع بقوله العزيز في نفس السورة: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. كذلك يؤكد ربنا ﷻ على هذه الحقيقة في عدد كبير من آيات القرآن الكريم، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

ثالثاً: القرآن الكريم يؤكد أن كل نبي وكل رسول بعث بالإسلام:

في العديد من الآيات يؤكد القرآن الكريم على أن جميع أنبياء الله ورسله بعثوا بالإسلام القائم على التوحيد الخالص لله ـ تعالى ـ، وعلى عبادته بما أمر، وعلى حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة شرع الله وعدله في ربوعها. وفي ذلك نقرأ من كلام ربنا ـ تبارك وتعالى ـ الآيات القرآنية التالية:

- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١].
- ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٧ ـ ٣٩].
- ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ

(١٣٥) قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٥، ١٣٦].

- ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
(١٢٧) رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٢٩) وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ
إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ
لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ
ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٣٣].

- ﴿۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا
ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٢، ٥٣].

- ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٦٧)
إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾
[آل عمران: ٦٧، ٦٨].

- ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ
وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣، ٨٤].

- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ
وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ
ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ۚ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

obeikandi.com

- ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].
- ﴿۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢].

ومن هنا يُحتِّم القرآن الكريم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر على كل مسلم ومسلمة، دون تمييز أو تفريق انطلاقاً من أمر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز:

- ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

رابعاً: القرآن الكريم ناسخ لكل صور الوحي السابقة ومهيمن عليها:

سبق وأن ذكرنا أن آيات القرآن الكريم (البالغ عددها ٦٢٣٦ آية) نزلت منجمة (أي: متفرقة) على مدى ثلاث وعشرين سنة، وأنها كتبت كلها في حياة رسول الله ﷺ عقب الوحي بكل منها أو بكل مجموعة منها أو بكل سورة من سورها مباشرة، ثم رتبت تلك الآيات في مائة وأربع عشرة (١١٤) سورة، وسميت السور ورتبت بتوقيف من الله ﷻ الذي تعهد بحفظ آخر كتبه المنزلة فحفظه بنفس اللغة التي أنزل بها (اللغة العربية)، بينما تعرضت الكتب السماوية السابقة كلها للضياع التام، وما بقيَ من ذكريات عن عدد قليل جداً منها ظل ينقل شفاهاً من الآباء للأبناء، ومن الأجداد للأحفاد لعدة قرون قبل البدء في تدوينها بأيدي مجهولين، ممن ليسوا بأنبياء ولا بمرسلين، وبلغات غير اللغات التي أوحيت بها مما أدى إلى تعرضها للتحريف والتبديل والتغيير. ولا تزال هذه الذكريات المنقولة شفاهاً عن عدد من صور الوحي السابقة تتعرض لذلك

التحريف إلى يومنا الراهن، لأن أصحابها لا يتعاملون معها كنص سماوي، بل على أنها كتابات من التراث الشعبي قابلة للتعديل والتبديل والتطوير، وللحذف والإضافة باستمرار. وتكفي في ذلك الإشارة إلى أن الله ـ تعالى ـ الذي أنزل مما نعلم من الكتب السماوية التي نؤمن بأصول كل منها ـ كلًّا من: «صحف إبراهيم»، و«التوراة»، و«الزبور»، و«الإنجيل» و«القرآن الكريم» لم ينزل كتاباً اسمه «العهد القديم أو الجديد»، أو «المانوسمتري» أو «كتاب بوذا» أو غير ذلك من الكتب الموضوعة بأيدي نفر من الناس، سواء كانت لها علاقة بوحي سماوي سابق، أو لا علاقة لها البتة بأي من ذلك الوحي.

وعلى ذلك فالقرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الموجود بين أيدي الناس منذ أكثر من أربعة عشر قرناً إلى اليوم محفوظاً بحفظ الله ـ تعالى ـ في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، ولذلك ظل محتفظاً بصفائه الرباني، وإشراقاته النورانية، والحق الإلٰهي الذي جاء به، فأصبح الكتاب الوحيد الذي يتعبد بتلاوته، والذي لا تصلح الصلاة إلا بقراءة فاتحته، والذي لا يُغني عنه في الصلاة شيء من الأحاديث أو الأدعية.

وفي التأكيد على أن الله ـ تعالى ـ هو الذي تولى جمع القرآن الكريم في قلب خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وأجراه على لسانه وبَيَّنَ له معانيه، والرسول يسمعه من جبريل عليه السلام ويجهد نفسه في متابعته حتى لا يتفلت حرف واحد منه نقرأ قول رب العالمين ـ تبارك وتعالى ـ له ﷺ آمراً إياه بالأمر الإلٰهي:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٩].

والوعد الإلٰهي بحفظ القرآن الكريم وعد مطلق، ولذلك حفظ هذا الكتاب الخالد على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وسوف يظل محفوظاً إلى ما شاء الله ليبقى شاهداً على الناس أجمعين حتى يوم الدين بأنه كلام رب العالمين، وشاهداً للنبي والرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة والرسالة.

خامساً: تحدي الله ﷻ للثقلين أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم وعجزهم عن ذلك:

تحدى ربنا ـ تبارك وتعالى ـ كلًّا من الإنس والجن مجتمعين متظاهرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يتقدم عاقل فيقول إنه استطاع أن يكتب شيئاً من مثل القرآن الكريم. كما رد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على كل من ادعى من المشركين أن الرسول ﷺ هو الذي كتب القرآن الكريم، وهو النبي الأمي الذي لم يكن يعرف القراءة والكتابة وذلك بقوله ـ تعالى ـ وقوله الحق:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤].

وتحدى الله ـ تعالى ـ العرب ـ على ما كانوا عليه من علم بأسرار العربية وأسباب الفصاحة والبلاغة وحسن البيان ـ أن يأتوا بسورة واحدة من مثل سور القرآن الكريم فيقول: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

ولا يزال هذا التحدي قائماً دون أن يستطيع عاقل مجابهته، على الرغم من مضيّ أكثر من أربعة عشر قرناً على مجيء الوحي بالتنزيل.

وقد عجزت القدرات البشرية، ولا تزال عاجزة عن أن تداني كتاب الله في روعة بيانه، وجمال نظمه، وشمول علمه، أو في كمال صفاته، ودقة دلالاته، وصدق إنبائه، وسمو معانيه، وعدالة تشريعه، أو في مكارم الأخلاق التي يدعو إليها، وضوابط السلوك التي وضعها لتطابق المصالح العامة والتامة لكلٍّ من الأفراد والمجتمعات؛ أو في سمو العقائد التي رسَّخها، والعبادات التي شرعها، أو في كلٍّ من الحقائق التاريخية والإشارات العلمية التي أوردها، أو في نهجه

وصياغته، وتمام إحاطته بطبائع النفس الإنسانية، ودقة استعراضه لمسيرة البشرية، من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ. وقد جاء القرآن الكريم في كل ذلك بنماذج منتقاة كدروس للبشرية في مجال تحقيق سنة الله بإهلاك الضالين من الكفار والمشركين والطغاة الباغين، المفسدين في الأرض ونجاة المؤمنين بالله، الموحدين لذاته، المنزهين لجلاله (عن الشريك، والشبيه، والمنازع، والصاحبة، والولد، وعن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله) والمجاهدين من أجل حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها وإقامة شرع الله وعدله فيها.

سادساً: الله ـ تعالى ـ يمتدح القرآن الكريم:

يمتدح ربنا ـ تبارك وتعالى ـ هذا الكتاب المجيد في العديد من آياته التي نختار منها قوله الحق:

- ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].
- ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].
- ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].
- ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٣٧].
- ﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].
- ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].
- ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].
- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].
- ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤].

سابعاً: رسول الله ﷺ يمتدح القرآن الكريم:

ويوجهنا رسول الله ﷺ إلى ضرورة مدارسة القرآن الكريم: وذلك بوصاياه العديدة التي نختار منها ما يلي:

- «**ألا إن رحى الإيمان دائرة فدوروا مع كتاب الله حيث يدور، ألا إن السلطان والكتاب سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب...**»(١).
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعربوا القرآ والتمسوا غرائبه**»(٢)، وإعراب القرآن الكريم يقصد به معرفة معانيه؛ والتماس غرائبه أي: معرفة ما غمض من معانيه على قارئه.
- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن هذا القرآن مأدبة الله فأقبلوا على مأدبته ما استطعتم. إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوَّم ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات. أما إني لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف ولام وميم**»(٣).

---

(١) أخرجه البزار في مسنده، والطبراني في المعجم الصغير.
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.
(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه.

- وعنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ القرآن فلم يعربه وكل به ملك يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات، فإن أعرب بعضه وكل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة، فإن أعربه وكل به أربعة ملائكة يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة**»(١).

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن (ألف) حرف و(لام) حرف و(ميم) حرف**»(٢).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا إنها ستكون فتنة**»، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾** [الجن: ١، ٢]، **ومن قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم**»(٣).

- وعنه ﷺ أنه قال: «**فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا مَا دُمْتُ فِيكُمْ فَإِذَا ذُهِبَ بِي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ أَحِلُّوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ**»(٤).

وقد أورد هذا الرسول الخاتم ﷺ أحاديث كثيرة في فضل القرآن الكريم،

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه الترمذي والإمام أحمد.
(٤) رواه الإمام أحمد.

وبركات الاعتصام به، وفي الحث على تعلمه وحفظه وتعليمه، وعلى مداومة تلاوته وتفسيره، وتدبر معانيه، وفهم دلالات آياته، والمجاهدة من أجل العمل به، وتحقيق هدايته أمراً واقعاً في حياة المسلمين: أفراداً وأُسَراً ومجتمعات. كما حث رسول ﷺ على فضل الاستماع إلى القرآن الكريم، والانفعال بمعاني آياته إلى حد البكاء، تأثراً بكلام رب العالمين. مؤكداً أن هذا الكتاب الكريم، رفعة لحامله في الدنيا والآخرة، وله في ذلك ﷺ أقوال كثيرة نختار منها ما يلي:

- عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عز وجل أهلين من الناس**» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته**»(١).

وعن سهل عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة، ومن قرأ القرآن فأكمله وعمل بما فيه ألبس والديه يوم القيامة تاجاً هو أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه، فما ظنكم بالذي عمل به**»(٢).

- وعنه ـ ﷺ ـ أنه قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(٣).
- «**اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**» «**اقرأوا الزهراوين: سورتي البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما**»(٤).

«**اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة**» (أي السحرة)(٥).

- وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تعلم القرآن**

---

(١) رواه الإمام أحمد وابن ماجه.
(٢) رواه الإمام أحمد.
(٣) رواه البخاري، والترمذي، وأبو داود.
(٤) رواه الترمذي.
(٥) رواه مسلم.

فاستظهره وحفظه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كانوا كلهم قد وجبت لهم النار»[١].

- وروى عن ابن عباس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل**»[٢].
- قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»[٣].
- وقال ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[٤].
- وعن النواس بن سمعان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورتا البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما**»[٥].
- وقال ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ: «**أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً**»[٦].
- «**إذا ختم القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك**»[٧].
- «**من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى كتب له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة**»[٨].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده.
(٢) ابن أبي الدنيا، والبيهقي.
(٣) رواه مسلم وأحمد وابن ماجه والدارمي.
(٤) رواه الترمذي في سننه.
(٥) رواه مسلم.
(٦) رواه الطبراني.
(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.
(٨) رواه الإمام أحمد.

openkandil.com

- **«من قرأ في ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين»**[١].

- ويروي رسول الله ﷺ عن الله ـ عز وجل ـ قوله الكريم:

«من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»[٢].

وعلى هذا الفضل العظيم لتلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه يبقى تدبر معاني آياته، ومدارستها، والالتزام بما فيها من أوامر الله، واجتناب ما فيها من نواهيه، والدعوة إلى هذا الخير بين الناس بالكلمة الطيبة، والحجة الواضحة، والمنطق السوي، يبقى لذلك كله من الأجر ما يفوق أجر التلاوة. لذلك كان رسول الله ﷺ يوصي بتدبر معاني القرآن الكريم عند التلاوة، وكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يتوقف عند كل آية: «فكان إذا مر بآية رحمة سأل الله من فضله، وإذا مر بآية عذاب استجار بالله وتعوذ من عذابه، وإذ مر بآية فيها تنزيه لله تعالى سبح»[٣].

وفي ذلك يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ـ تبارك وتعالى ـ يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»**[٤].

من هنا كان حرص السلف الصالح على كتاب الله: حفظاً، وفهماً، وممارسة وتدبراً، وتطبيقاً عملياً في الحياة. فعن أبي عبد الرحمٰن السلمي أنه قال: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ وكانوا إذا

---

(١) رواه الإمام أحمد.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه ابن ماجه.
(٤) رواه مسلم وأبو داود.

تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً»[١].

والذاكرة في الصغر: صافية، طاهرة، خالية من كل كدر، ومن هنا تكون قدرتها الهائلة على الحفظ بسهولة ويسر. والطفل المسلم إذا حفظ القرآن الكريم في الصغر فصح لسانه، وقوي بيانه، وطهر قلبه، وخشعت جوارحه، وتركزت معاني القرآن وقيمه النبيلة في ذاته، وترسخت في قلبه وعقله ركائز العقيدة الإسلامية السامية، ومن أبرزها: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتنزيه الخالق العظيم ﷻ عن جميع صفات خلقه، وعن كل وصف لا يليق بجلاله، والإيمان بوحدة رسالة السماء، وبالأخوة بين الأنبياء، وبين الناس أجمعين الذين ينتهي نسبهم إلى أب واحد هو نبي الله آدم عليه السلام، وإلى أم واحدة هي أمنا حواء ـ عليها من الله الرضوان ـ وما أحوج الإنسانية المضطربة التائهة، الضائعة، المتصارعة اليوم إلى هذه القيم النبيلة.

وحفظ القرآن الكريم في الصغر يرسخ في قلوب وعقول حافظيه من حب لمكارم الأخلاق، ولجميل الصفات ما يطبعهم على الالتزام بها، ويرفعهم في معايير الدنيا والآخرة، ويفهمهم حقيقة رسالتهم في هذه الحياة: عباداً لله، مطالبين بعبادة ربهم بما أمر، وبحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها، وإقامة شرع الله وعدله فيها، وما أجلّ الاستقامة على منهج الله.. !!!

- والقرآن الكريم يحفظ حامله من كل مكروه، وهذا حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: «**ما من رجل يأوي إلى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله إلا بعث الله ملكاً يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى هب**»[٢].
- ويقول ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه**»[٣].

---

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره (١/ ٤).

(٢) رواه الإمام أحمد.

(٣) رواه الإمام البخاري وغيره.

- ويقول: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه آناء الليل والنهار**»(١).
- وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(٢).
- ويقول ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة: ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر**»(٣).
- وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم بسورة «الإخلاص» فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**سلوه لأي شيء صنع ذلك؟**» فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمٰن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبروه أن الله يحبه**»(٤).

وهذه الرواية على بساطتها تؤكد فضل تدبر القرآن الكريم وفهم دلالة آياته، لأن الله ـ تعالى ـ أنزله لنا نوراً وهداية في كل أمر من أمور الدنيا والآخرة، ومنهجاً ربانياً تستقيم به حياة الناس، ولا تستقيم بغيره، ولذلك ألح رسول الله ﷺ على مداومة تلاوة القرآن الكريم، وتدبر معاني آياته، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه، والاجتهاد في حفظه ومدارسته من كل جوانبه.

وحذر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من هجر القرآن الكريم، وشكا هاجريه إلى

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) أخرجه البخاري، رقم: ٧٣٧٥.

رب العالمين، والتنزيل ينطق على لسانه الشريف بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

- وحذر رسول الله ﷺ كذلك من حرمان المسلم نفسه من بركات القرآن الكريم فقال: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»(١).
- كما حذر ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من نسيان القرآن الكريم بعد حفظه فقال: «**من حفظ القرآن ثم نسيه فليس منا**»(٢)، ولذلك أوصى بمعاهدة القرآن باستمرار فقال: «**تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقالها**»(٣).
- كذلك حذر ﷺ من التردد في تلاوة القرآن الكريم بحجة صعوبة ذلك على بعض المسلمين من غير الأصول العربية، فعن أم المؤمنين السيدة عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران**»(٤).

ثامناً: من فضائل القرآن الكريم:

(أ) **إنه كلام الله الخالق** الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه على ذاته العلية في نفس لغة وحيه (اللغة العربية)، وحفظه على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً، وتعهد بهذا الحفظ الإلٰهي تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى قيام الساعة بأنه كلام الله الخالق، وشاهداً بالنبوة وبالرسالة للنبي الخاتم الذي تلقاه، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ﷺ:

---

(١) رواه الترمذي، رقم: ٢٩١٣.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٧٩١).
(٤) رواه الإمام أحمد.

openkandil.com

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

والتعبير القرآني **(تبياناً لكل شيء)**، يعني كل شيء من أمور الدين بركائزه الأربع الأساسية: **العقيدة، العبادة، الأخلاق، والمعاملات.** ولو شاء الله ـ تعالى ـ أن يجعل القرآن الكريم تبياناً لكل شيء من أمور الدنيا أيضاً لكان هذا الكتاب العزيز مجلدات عديدة لا يمكن للفرد الواحد أن يتمه قراءة في عمره كله، فضلاً عن حفظ نصه، والعمل به. ودليلنا على ذلك أن الله ـ تعالى ـ لم يخبرنا في القرآن الكريم عن جميع أنبيائه ورسله وهم جمع غفير، واختار من قصصهم خمسة وعشرين فقط حتى تكون مدارسة قصصهم فرصة لاستخلاص العظة والعبرة، والاستفادة بالدرس.

(ب) إنه الكتاب السماوي الوحيد الذي تعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بحفظه فحفظ في نفس لغة وحيه (اللغة العربية) على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، وسوف يظل محفوظاً بحفظ الله ـ تعالى ـ إلى ما شاء الله لأن هذا الوعد الإلٰهي الذي لم يطلق لرسالة سابقة أبداً، هو وعد مطلق، بينما كان حفظ الرسالات السابقة كلها قد ترك لأتباعها فضيعوها، وهذه آيات القرآن الكريم تشهد على ذلك بقول ربنا ـ تبارك اسمه ـ وقوله الحق:

- ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].
- ﴿ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].
- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٤١].

(جـ) إنه كتاب معجز في كل أمر من أموره لأنه كلام الله الخالق البارئ المصور، فهو ليس بالشعر ولا بالنثر، ولكنه نمط فريد من الصياغة العربية لم تعرفه العرب من قبل، وعجزوا عن الإتيان بشيء من مثله وهم في قمة من الفصاحة والبلاغة وحسن البيان.

والإعجاز في القرآن الكريم (بمعنى عجز البشر عن الإتيان بشيء من مثله) ليس مقصوراً على نظمه ـ كما يدعي البعض ـ لأنه ما من زاوية من الزوايا ينظر منها إنسان محايد إلى هذا الكتاب العزيز إلا ويجد منها جانباً من جوانب الإعجاز الذي يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٧ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨].

- ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٨٠].
- ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

(د) ومن جوانب الإعجاز في كتاب الله ما يلي:

١) **الإعجاز اللغوي**: الأدبي، البياني، البلاغي، النظمي، اللفظي، الدلالي.

٢) **الإعجاز التشريعي**: مثل الإعجاز في فقه الأسرة والمجتمع، وفقه

المعاملات، فقه السلوك، فقه المطعومات والمشروبات، فقه العقوبات، فقه القتال، فقه الولاء والبراء، وفي غيرها من أبواب الفقه.

٣) **الإعجاز الاعتقادي (إعجاز العقيدة)**: بمعنى فضل الإيمان بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر على الكفر بكل ذلك؛ وفضل التوحيد الخالص على الشرك بالله، وفضل الإيمان بجميع أنبياء الله ورسله على التحلق حول واحد منهم والمبالغة في تقديسه إلى حد عبادته من دون الله كما فعل كل من اليهود والنصارى.

٤) **الإعجاز التعبدي (إعجاز العبادة)**: بمعنى فضل صلاة المسلمين على صلوات غيرهم، وفضل نظام الزكاة عندهم على نظام الضرائب والمكوس عند غيرهم، وفضل صيامهم وحجهم على صيام غيرهم وحجهم.

٥) **الإعجاز الأخلاقي**: بمعنى مواءمة الدستور الأخلاقي في القرآن الكريم للطبيعة البشرية بغير غلو ولا إقلال.

٦) **الإعجاز العلمي**: بمعنى السبق بالإشارة إلى عدد من حقائق الوجود بدقة علمية مطلقة شملت الإنسان، والحيوان، والنبات، والكون ومكوناته، وظواهره.

٧) **الإعجاز التاريخي**: بالإشارة الدقيقة إلى عدد من الوقائع التاريخية التي بدأت الاكتشافات الآثارية في إثبات صحتها.

٨) **الإعجاز التربوي**: الذي يهتم بحسن بناء الإنسان الصالح، وليس فقط المواطن الناجح.

٩) **الإعجاز النفسي**: الذي يهتم بمخاطبة النفس الإنسانية بما يرقى بها إلى معارج الله العليا كما لا يمكن أن يرقى بها خطاب سواه.

١٠) **الإعجاز الاقتصادي**: من مثل ما جاء في تشريعات الزكاة، وفي تحريم التعامل بالربا، والأمر بكتابة كل من الدَّيْن والوصية والإشهاد عليهما.

obeikandi.com

والكارثة الاقتصادية التي عمت أهل الأرض جميعاً في أواخر سنة ٢٠٠٨م أنطقت غالبية الاقتصاديين من غير المسلمين بأن التشريعات المالية الإسلامية هي الحل للخروج من هذه الكارثة، مما أثبت فشل النظامين الوضعيين للاقتصاد: النظام الشيوعي الاشتراكي، والنظام الرأسمالي الديموقراطي، والحق ما شهدت به الأعداء.

١١) **الإعجاز الإداري**: من مثل حسن التخطيط، والاستعانة بأهل الخبرة، وحسن توزيع الاختصاصات، والعدل بين المرؤوسين، واحترام الكبير، والعطف على الصغير، والمحافظة على الحقوق، والمساواة بين الناس، وتحريم تحكيم الأهواء الشخصية، والمحافظة على المصالح العامة وحسن الائتمان عليها.

١٢) **الإعجاز الإنبائي**: من مثل الإخبار بعدد من الأحداث المستقبلية التي تحقق بعضها، ولا زلنا ننتظر تحقق البعض الآخر.

١٣) **الإعجاز الصوتي**: من مثل إعجاز الجرس الصوتي في ختام كل آية من آيات القرآن الكريم.

١٤) **إعجاز الحفظ في نفس لغة الوحي (اللغة العربية)**: على مدى أكثر من أربعة عشر قرناً، والتعهد بذلك الحفظ إلى ما شاء الله.

١٥) **إعجاز التحدي للإنس والجن ـ فرادى ومجتمعين ـ أن يأتوا بشيء من مثل القرآن الكريم**: في أسلوبه ومضمونه، ودقة كل أمر من أموره، دون أن يتمكنوا من ذلك، على الرغم من المحاولات العديدة التي بذلت في هذا السبيل، وانتهت بالفشل الذريع.

(هـ) إنه الكتاب الوحيد المتضمن لدين الله الذي لا يرتضي ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده ديناً سواه:

وذلك لأن الدين هو بيان من الله ـ تعالى ـ للإنسان في القضايا التي يعلم ربنا ـ تبارك اسمه ـ بعلمه المحيط أن الإنسان يعجز عجزاً كاملاً عن وضع أية

ضوابط صحيحة لنفسه فيها وذلك من مثل قضايا: **العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات**، وهي ركائز الدين، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ في محكم كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

ويقول ـ ﷻ ـ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

(و) إنه الكتاب الوحيد الذي تكاملت فيه جميع الرسالات السماوية: انطلاقاً من حقيقة أنه يأمر بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله دون أدنى تفريق بينهم لأن رسالات هؤلاء الرسل جميعاً كانت الإسلام، إلا أن أتباعها ضيعوها وحرفوا ما بقي من ذكراها ولذلك كَذَّبوا الرسالة الخاتمة لأنها كشفت كفرهم بالله، وتحريفهم لرسالاته، وتطاولوا على الرسول الخاتم ﷺ الذي أكد خروجهم على منهج الله ـ تعالى ـ، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر: ٢٤ ـ ٢٦].

(ز) إن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد المحفوظ اليوم في نفس لغة وحيه: فقد أنزل بلسان عربي مبين، وحفظه الله ـ تعالى ـ في نفس اللغة التي أنزل بها (اللغة العربية) وعلى ذلك فلا بد من فهم دلالة ألفاظه وتركيب جمله، وأساليب التعبير فيه في إطار هذه اللغة التي تعتبر أم اللغات كلها، وفي ذلك يقول الحق ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

- ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢].
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].
- ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].
- ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣].
- ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣].
- ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

(ح) إن الآيات القرآنية المتعلقة بركائز الدين من: العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملات مصاغة صياغة شديدة الوضوح والإحكام حتى يفهمها كل إنسان ـ قلت ثقافته أم زادت ـ وإن كانت الحكمة من وراء كل أمر من هذه الأمور قد تحتاج إلى شيء من التفصيل. ومن أمثال ذلك قول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد: ١٩].
- ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

obeikandl.com

- ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

(ط) إن الإشارات الكونية (المتعلقة بالكون ومكوناته وظواهره) في كتاب الله مُصاغة صياغة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني، وتظل هذه المعاني تتسع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية جيلاً بعد جيل في تكامل لا يعرف التضاد، وليس هذا لغير كلام الله، ومن هنا لا بد من توظيف الحقائق العلمية المتاحة في كل عصر من أجل فهم دلالة الآية القرآنية، وإثبات سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى عدد هائل من حقائق الكون، ومن هنا كانت الإشارات القرآنية الكثيرة التي تنبه إلى مستقبلية الكشف عن أعداد من الحقائق العلمية الثابتة التي لم تكن معروفة في زمن الوحي بكتاب الله، ولا لقرون طويلة بعد زمن الوحي، مما يشهد للقرآن الكريم بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ:

- ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧].
- ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].
- ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [ص: ٨٦، ٨٧].
- ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

(ي) إن القرآن الكريم يجمع بين الدنيا والآخرة وبين عالمي الشهادة والغيب في معادلة واحدة، بينما أغلب الناس غارقون إلى آذانهم في عالم الشهادة (أي الدنيا الفانية) ولَاهُونَ عن الآخرة الباقية، حتى يفاجأ كل فرد منهم بالموت، ثم بالحشر والحساب والجزاء، وهو صفر اليدين من الحسنات، في حين أن الكون كله يسبح الله ـ تعالى ـ ويسجد له ويمجده ويقدسه، وفي ذلك يؤكد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ هلاك الغافلين من عباده، المنبهرين بالكشوف العلمية والتقنية،

والغارقين في مادياتها، دون النظر إلى جوانب الحكمة فيها، والدلالة منها على خالقها وذلك بما ينطق به التنزيل فيقول: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

وفي المقابل يؤكد القرآن الكريم أن كل ما في الوجود من الخلق غير المكلف يسجد لله ـ تعالى ـ سجوداً فطرياً، تسخيرياً، لا اختيار له فيه، فيقول ربنا ـ عز من قائل ـ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

ويقول ـ وقوله الحق ـ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

وانسجام الإنسان مع الكون في الخضوع بالعبادة والتسبيح والطاعة للخالق ـ سبحانه وتعالى ـ له مردوداته الإيجابية على حياة الإنسان المادية والروحية على حدّ سواء.

(ك) في الوقت الذي تحاول الحضارة المادية المعاصرة رد كل سبب في الوجود إلى ما يسمونه الطبيعة، فإن القرآن يؤكد على أن الله ـ تعالى ـ هو واضع جميع السنن والقوانين التي تحكم كل صغيرة وكبيرة في الكون، وأن من وراء السنن هناك إرادة الله الغالبة المدبرة لكل أمر، ومشيئته المطلقة الحاكمة لكل شيء، وفي ذلك يقول ـ وقوله الحق ـ:

- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

(ل) إن القرآن العظيم يكرم الإنسان ويفضله على كثير مما خلق الله تفضيلاً، في الوقت الذي ترده الحضارة المادية المعاصرة إلى الحيوانية المحضة فتصفه

بالحيوان الناطق أو الضاحك أو الاجتماعي وشتان ما بين الموقفين. وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ويقرر القرآن الكريم كذلك أن الإنسان ـ هذا المخلوق المكرم ـ هو صاحب إرادة حرة إذا استخدمها في طاعة الله وأخذ بالمنهج الذي وضعه له الله ـ تعالى ـ في هذه الحياة ارتفع بنفسه إلى أعلى درجات الكمال الإنساني، ليلحق بركب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين الذين يصفهم الحق ـ تبارك وتعالى ـ بقوله العزيز: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

(م) بينما تقوم الحضارات المادية كلها على أساس من العصبيات العرقية، أو الاجتماعية أو الإقليمية الضيقة البغيضة، فإن القرآن الكريم يؤاخي بين الناس جميعاً لأنه يردهم إلى أبوين كريمين هما آدم وحواء عليهما السلام وانطلاقاً من ذلك يؤاخي بين الناس جميعاً، وذلك بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].
- ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].
- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].
- ويقول الرسول ﷺ: «**كلكم لآدم وآدم من تراب**»(١).

(١) أخرجه الربيع في مسنده ح: ٤١٩.

(ن) ويقر القرآن الكريم أن الإنسان إذا التزم بهذا المنهج الرباني ارتفع في معراج الله إلى أعلى عليين فيكون له أجر غير ممنون، وإذا انحرف عن منهج الله انحط إلى أسفل سافلين، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٤ ـ ٦].

(س) كذلك يقرر القرآن الكريم أن الصراع بين الحق والباطل سنة من سنن الحياة وهذا هو ما جسّده تاريخ البشرية إلى اليوم ـ ولذلك قال تعالى ـ:

- ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

(ع) إن القرآن الكريم هو الحق المطلق الوحيد المحفوظ بين أيدي الناس اليوم وهذا الحق هو قوام الوجود كله، فإذا التزم به العبد صلح أمره كله، وسعد في الدنيا ونجا في الآخرة، وإذا حاد عنه فسد في الدنيا وهلك في الآخرة، وتاريخ البشرية عبر الأربعة عشر قرناً الماضية شاهد على ذلك. والحق لا ينتصر لمجرد كونه حقاً، بل لا بد له من رجال مؤمنين ونساء مؤمنات به، يدافعون عنه ويبذلون النفس والنفيس في سبيل تحقيق نصرة الحق وأهله، وفي ذلك يقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ:

- ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].

- ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

- ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧].
- ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩].
- ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الحجر: ٦٤].
- ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢].
- ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].
- ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥].
- ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦].
- ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤، ٥٥].
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].
- ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١].

(ف) لا بد للحق (ممثلاً في دين الله وهو الإسلام) أن يظهر، ولو بعد حين، ولا بد للباطل (ممثلاً في كل المعتقدات الوضعية) أن يزهق وتدول دولته مهما طال لها الأمد، وتاريخ الإنسان على سطح الأرض شاهد على ذلك، وفي ذلك يقول ربنا ـ جل شأنه ـ:

- ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

- ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٠].
- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣].
- ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبا: ٦]
- ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: ٣١].
- ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧].
- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].
- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١].
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧].
- ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].
- ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].
- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].
- ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

(ص) من فضائل القرآن الكريم أنه يعلمنا ضرورة الأخذ بالأسباب قدر

الطاقة، ثم الرضا بقضاء الله وقدره، اطمئناناً إلى رحمة الله وعدله وحكمته، ولذلك يعلمنا هذا الكتاب الخالد ألا نحكم على الأمور بظواهرها لأننا لا نعلم إلا الظاهر فقط، والباطن في علم الله ﷻ القائل:

- ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].
- ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

(ق) إن القرآن المجيد يُعلم المسلم كيف يعيش في كنف الله ورعايته، مؤكداً على ألا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، ولذلك يقول ﷻ:

- ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].
- ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢].
- ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].
- ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٨، ٢٦٩].
- ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

(ر) يؤكد القرآن الكريم على حقيقة الخلق، وعلى حتمية القيامة ثم البعث والحشر والحساب والجزاء بالخلود إما في الجنة أبداً أو في النار أبداً. والعلوم المكتسبة تؤكد على أن الكون له بداية يحاول العلماء تقديرها. وكل ما له بداية لا بد وأنه ستكون له في يوم من الأيام نهاية. ويشهد على ذلك أن الشمس تفقد من

كتلتها في كل ثانية على هيئة طاقة ما يقدر بحوالي ٤,٦ مليون طن. ونحن نرى كل شيء في الوجود من الجمادات والأحياء يخلق ويموت، كما نرى الحرارة تنتقل من الأجسام الحارة كالنجوم، إلى الأجسام الباردة من مثل الكواكب والكويكبات والأقمار والمذنبات حتى تتساوى درجات الحرارة فينتهي الكون إذا قدر له البقاء حتى يحدث ذلك، لأننا نحن معشر المسلمين نؤمن بأن الآخرة لن تتم بأي من سنن هذه الحياة الدنيا، ولكن بالأمر الإلٰهي: كن، فتكون. وحتمية الرجوع إلى الله ـ تعالى ـ هي حقيقة الحقائق، ومن الطرق المؤدية إلى سلامة ذلك الرجوع حرص المسلم على الحياة حسب المنهج الذي وضعه الله ﷻ لعباده، وأنزله على عدد كبير من أنبيائه ورسله، وأكمله وأتمه وحفظه في رسالته ـ الخاتمة ـ التي أنزلها على خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، وتعهد بحفظها تعهداً مطلقاً إلى ما شاء الله، ولذلك يخاطب القرآن الكريم هذا النبي الخاتم بقول ربنا ـ تبارك وتعالى ـ له:

- ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].
- ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٩ ـ ٢١].
- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].
- ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].
- ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

- ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ١ ـ ٤].
- ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۚ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].
- ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].
- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤].
- ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].
- ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١، ٢].
- ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ۝٢٣ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ۝٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ۝٢٧ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ۝٢٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [الإنسان: ٢٣ ـ ٣١].

(ش) إن القرآن الكريم نزل لنا لنفهمه، حتى نتمكن من تطبيقه تطبيقاً صحيحاً في حياتنا، ولذلك يحضنا ربنا ـ تبارك وتعالى ـ على تدبر آياته وفهم دلالاتها وتطبيقها أمراً واقعاً في حياتنا فيقول ـ عز من قائل ـ:

- ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢].
- ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

والذكر الحكيم، والهدي الناصع، والتذكرة لكل غافل، والفرقان في كل أمر، والمنزه عن كل نقص، والخالي من كل عيب وريب وعوج ولذلك قال ـ تعالى ـ فيه:

- ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وهذا هو ما أثبتته كل دراسات القرآن الكريم في كل زاوية من زواياه، وفي كل قضية من قضاياه، ولذلك يأمر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ عباده المؤمنين بتلاوة كتابه العزيز، ومدارسة آياته، وتدبّر معانيها، كما أمرهم بحسن الاستماع إلى تلاوته، والإنصات لقراءته من أجل تحقيق ذلك.

(ث) القرآن الكريم نظام شامل كامل للحياة التي يرتضيها ربنا ـ تبارك وتعالى ـ من عباده الصالحين: يتخلق الفرد به مع ربه، ومع نفسه، ومع أهله، ومجتمعه، ومع البشرية كلها، ومع الكون كله: جماده، وأحيائه، وسننه وظواهره، لذلك وصفت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وهو أكمل البشر خَلقاً وخُلقاً فقالت: «كان خلقه القرآن»[1].

من هنا كانت أوامر ربنا ـ تبارك وتعالى ـ إلى عباده الصالحين بضرورة التمسك بكتابه العزيز: تلاوة، وحفظاً، وفهماً، وتدبراً وحكماً، وتشريعاً، وأخلاقاً وسلوكاً، وتطبيقاً عملياً كاملاً في الحياة من أجل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة، وتاريخ المسلمين عبر الأربعة عشر قرناً الماضية يؤكد على أنهم ما تمسكوا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ إلا نهضوا وارتقوا وعزوا، وما أداروا ظهورهم لهما إلا تخلفوا وانحطوا، وذلوا ذلاً مهيناً.

---

(١) رواه الإمام أحمد.

وهذه آيات القرآن الكريم تطرق أسماع الناس في كل حين آمرة بالتزام منهج الله، وإلا فلا نجاح، ولا فلاح، ولا نجاة إلا بتطبيقه دستوراً كاملاً شاملاً لحياة الناس أفراداً، وجماعات، ومجتمعات ودولاً وأمماً، ومن ذلك قول ربنا ـ وقوله الحق ـ:

- ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].
- ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩].
- ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩].
- ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٨].
- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: ٨٢].
- ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النمل: ١، ٢].
- ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ۝٩٢ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل: ٩١ ـ ٩٣].
- ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ١ ـ ٤].

openkanal.com

وقد حذر رسول الله ﷺ من رفع القرآن الكريم من الأرض، ومن خطر انتزاعه من القلوب في آخر الزمان، فمن رواية لعبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: خرج رسول الله ﷺ علينا فقال: «**أيها الناس! ما هذه الكتب التي تكتبون، أكتاب غير كتاب الله؟ يوشك أن يغضب الله لكتابه فلا يدع ورقاً ولا قلباً إلا أخذ منه**» قلنا: يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات يومئذ؟ قال ﷺ: «**من أراد الله تعالى به خيراً أبقى في قلبه: لا إله إلا الله**».

وانطلاقاً من ذلك كله كان اهتمام علماء المسلمين بكتاب الله الكريم فوضعوا له من العلوم ما ييسر فهمه، مثل العديد من كتب التفسير، وعلوم القراءات، وعلوم رسم القرآن، وتواريخ جمعه وكتابته، وفواتح سوره، والناسخ والمنسوخ منه، وأوجه الإعجاز المتعددة فيه، وإعرابه، وغرائب ألفاظه، والمحكم والمتشابه من آياته، والمجمل والمفصل منه، وقصصه، والمفرد والمكرر فيه، وغير ذلك من القضايا المتعلقة بهذا الكتاب العزيز. حتى وضعت في علوم القرآن تصانيف عديدة تقدر بعشرات العلوم التي لم أرد الخوض فيها هنا لأن لها مراجعها العديدة الخاصة بها.

ولما كانت ألفاظ القرآن الكريم دالة على معانيه، دلالة مأخوذة من دلالات اللغة العربية، فإن أغلب الآيات القرآنية لا تحتاج إلى التفسير، وإن اتضح ذلك بشكل جلي في الإشارات الكونية (أي التي تتحدث عن الكون ومكوناته وظواهره)، وهي في مجموعها تمثل سدس مجموع آيات القرآن الكريم.

وانطلاقاً من حقيقة أن علم الله المحيط بالطبيعة البشرية، وبمعارف الإنسان الجزئية ذات الطبيعة التراكمية، في كل المعارف المكتسبة، شاءت إرادة الله ـ تعالى ـ أن تكون صياغة جميع الإشارات العلمية في القرآن الكريم صياغة معجزة، يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني، وتظل ألفاظ الآية القرآنية الواحدة قادرة على الاتساع باستمرار مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد، حتى يبقى كلام الله مهيمناً على كلام البشر مهما اتسعت دوائره، وهذا عندي من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله.

فإن وجد في بعض ألفاظ القرآن الكريم ما قد يخفى مدلوله على أهل زماننا ـ وقد تفشت بيننا العجمة في زمن الفتن والتغريب الذي نعيشه ـ فإن هذه الألفاظ قد تم جمعها وتبويبها تحت ما يعرف باسم «غرائب القرآن الكريم» وقد عني بشرحها وبيان معانيها أئمة اللغة والتفسير في القديم والحديث كابن عبيدة، وابن دريد، والزجاج، والفراء، والأخفش، وابن الأنباري، والراغب الأصفهاني، والسجستاني وأضرابهم في القديم، وكما فعل ذلك في زماننا كل من فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف، والشيخ محمد متولي الشعراوي (رحمهما الله برحمته الواسعة).

تاسعاً: جمع القرآن الكريم وكتابته:

وردت لفظة (الجمع) بمعنى: (الحفظ مع دقة الترتيب) عدة مرات في كتاب الله وذلك من مثل قوله ـ تعالى ـ مخاطباً خاتم أنبيائه ورسله ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٩].

كما وردت لفظة (الجمع) بمعنى: (الكتابة والتدوين). والمعنى الأول آتاه الله ـ تعالى ـ لخاتم أنبيائه ورسله ﷺ ولعدد غير قليل من صحابته الكرام وممن تابعهم من الصالحين إلى اليوم وحتى يوم الدين، وهؤلاء تدارسوا القرآن الكريم ولا يزالون يتدارسونه ويستظهرونه ليتمكنوا من القراءة به في الصلوات المكتوبة وفي النوافل وفي الاستشهاد. وأما جمع القرآن الكريم بمعنى تدوينه كتابة فقد مر بمراحل ثلاث على النحو التالي:

(١) جمع القرآن الكريم كتابة من فم رسول الله ﷺ:

كان رسول الله ﷺ قد اتخذ عدداً من كتاب الوحي منهم الخلفاء الراشدون الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ـ وكان منهم معاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، وغيرهم، مما يجاوز عددهم الأربعين كاتباً، وكان رسول الله ﷺ يأمرهم بكتابة كل ما ينزل عليه

من القرآن الكريم الذي كان يدون على رقاع من جلود الحيوانات وعظام أكتافها، أو صحائف الحجارة، أو جريد النخل، أو قطع الخشب.

وكان ترتيب الآيات في كل سورة ووضع البسملة في أول السورة، وترتيب السور من الأمور التوقيفية على أوامر من الله ـ تعالى ـ بواسطة الملك جبريل عليه السلام.

وكان رسول الله ﷺ يملي ما يوحى إليه من القرآن الكريم مباشرة على كتاب الوحي، ويأمرهم بترتيب الآيات حسب ما يوصيه به جبريل عليه السلام، وقد ثبت في سيرته الشريفة أنه ﷺ قرأ العديد من سور القرآن الكريم كاملة في الصلاة أو في خطب الجمع والعيدين بنفس الترتيب الذي نجده في المصاحف اليوم، وكان ذلك على مسمع من آلاف الصحابة ـ عليهم رضوان الله ـ مما يؤكد على أن ترتيب الآيات في كل سورة، وترتيب السور كما نجده في القرآن الكريم كله هو أمر توقيفي. وكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ينهى عن (النكوص) في التلاوة، بمعنى: القراءة في الصلاة من سورة متأخرة قبل سورة متقدمة، مما يؤكد على أن ترتيب السور القرآنية هو أمر توقيفي.

وكان كل ما يكتب من آيات وسور القرآن الكريم بعد الوحي بها مباشرة يحفظ في بيت رسول الله ﷺ مع استنساخ كُتَّاب الوحي نسخاً لأنفسهم من جميع ما أُملي على كل منهم. وبذلك تم جمع القرآن الكريم كله كتابة وحفظاً على عهد رسول الله ﷺ.

(٢) جمع القرآن الكريم في مصحف واحد على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه وأرضاه ـ عرف العرب الورق فأمر خليفة رسول الله بنسخ هذه الرقاع في مصحف واحد على الورق، وكان ذلك بعد موقعة اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة (١٢هـ) والتي استشهد فيها سبعون من حفظة القرآن الكريم من الصحابة، فهال ذلك الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء إلى أبي بكر يقترح جمع القرآن وظل يراجعه حتى

شرح الله ـ تعالى ـ صدره لذلك، فاستدعى أبو بكر كاتب الوحي الماهر بالقرآن زيد بن ثابت، وكان أمهر كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكلفه بجمع القرآن من الرقاع المحفوظة في بيت رسول الله ﷺ في مصحف واحد ظل في عهدة الخليفة الأول حتى توفاه الله، فانتقل المصحف إلى عهدة الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعند استشهاده انتقل إلى بيت أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنهما. وقد ظفر مصحف أبي بكر الصديق بإجماع الأمة لمطابقته لما كتب على عهد رسول الله ﷺ وما احتوته صدور الحفاظ.

(٣) جمع القرآن الكريم في عدد من المصاحف على عهد ذي النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه:

في أول خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه طلب من أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها أن ترسل إليه بنسخة المصحف الشريف الذي كان قد تم جمعه على عهد الخليفة الأول فأرسلته إليه. وعلى الفور أمر سيدنا عثمان كلًّا من زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام بنسخ عدد من المصاحف من الأصل الذي أملاه رسول الله ﷺ على كتّاب الوحي، ثم جمع على عهد سيدنا أبي بكر الصديق. وكان هؤلاء الأربعة من كبار الحفاظ لكتاب الله، وكان زيد بن ثابت من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان ذلك سنة خمس وعشرين هجرية. ثم رد الخليفة عثمان نسخة المصحف الأولى إلى أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر رضي الله عنها، وأرسل إلى كل مصر من الأمصار الإسلامية بنسخة من المصاحف التي تمت كتابتها في عهده، من مثل مكة المكرمة، الكوفة، البصرة، بلاد الشام، اليمن، والبحرين، بالإضافة إلى المصحف الإمام الذي احتفظ به سيدنا عثمان رضي الله عنه في المدينة المنورة.

وكان الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه يرسل مع كل نسخة من المصحف الشريف حافظاً يعلم الناس سلامة النطق بالقرآن الكريم، ورأى أن يحرق ما عدا ذلك من مصاحف كانت قد امتلأت بالشروح والتفاسير مما ليس من

القرآن في شيء حتى لا يختلف المسلمون، ولم يقدم سيدنا عثمان على ذلك إلا بعد مشورة الصحابة الكرام والحصول على تأييدهم.

كذلك تمكن عدد من حفاظ القرآن الكريم من استنساخ نسخ لأنفسهم من المصحف الإمام، وكان منهم كل من عبد الله بن الزبير وأمهات المؤمنين السيدات عائشة، وحفصة، وأم سلمة (رضي الله ـ تعالى ـ عنا وعنهم أجمعين).

ولما أعيد المصحف الشريف الذي تم جمعه على عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ﷺ إلى أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر ﷺ ظل عندها حتى توفاها الله، وقد حاول مروان بن الحكم (ت ٦٥هـ) أن يأخذ منها تلك النسخة ليحرقها إجلالاً وتقديراً لكتاب الله، وكانت صفحاتها قد أخذت في الاهتراء، ولكنها أبت، ثم حصل عليها بعد وفاتها وقام بإحراقها لأن صفحاتها كانت قد أخذت في البلى والتهلهل.

ومن الثابت أن ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) قد رأى إحدى نسخ مصحف عثمان بالشام بعد منتصف القرن الثامن الهجري. وذكر أن هذا المصحف كان قد تم نقله من مدينة طبرية إلى دمشق في حدود سنة (٥١٨هـ/ ١١٢٤م) وأضاف بأن النسخة كانت مكتوبة بخط حسن، مبين، قوي، بحبر محكم، في رق يظن أنه من جلود الإبل.

من هذا الاستعراض الموجز يتضح أن حفظ القرآن الكريم قد تم بطريقة لم يحظ بها كتاب آخر في تاريخ البشرية كلها وذلك لأن الله ـ تعالى ـ هو الذي تعهد بحفظه قائلاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فوفق الله ـ ﷻ ـ نفراً من عباده الصالحين ليقوموا بهذا الدور العظيم في ظل من الرعاية الإلٰهية التي حفظت لنا القرآن الكريم حفظاً كاملاً: حرفاً حرفاً، وكلمة كلمة، وآية آية، وسورة سورة في نفس لغة الوحي (اللغة العربية) على مدى يزيد على أربعة عشر قرناً. وتعهد ربنا ـ تبارك وتعالى ـ بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً حتى يبقى القرآن الكريم شاهداً على الخلق أجمعين إلى يوم الدين بأنه كلام رب

العالمين، وشاهداً للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة، وبذلك يبقى هذا الكتاب الخالد حجة الله ـ تعالى ـ على عباده وقد قال ـ وقوله الحق ـ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وكذلك بقي القرآن الكريم الصورة الوحيدة من كلام رب العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمحفوظ بحفظ الله ـ تعالى ـ بين أيدي الناس على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية حتى اليوم، وسيبقى كذلك إلى أن يشاء الله ـ تعالى ـ الذي وصف محكم كتابه بقوله العزيز: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

obeikandl.com